سنحاول في هذا البحث الرد على هذا السؤال الذي يزداد الحاحا كل يوم .

لنبدأ بالباحث . ان كتابة البحوث التاريخية بشكل منظم شامل حول قضايا معاصرة (كالقضية الفلسطينية) هو بالنسبة لعرب القرن العشرين علم جديد لا يتجاوز عمره سنوات معدودة . بل يمكننا القول بأنه قبل تأسيس مركز الابحاث في منتصف الستينات، لم يكن هناك نشاط منظم على هذا الصعيد . فكتابة البحوث تعتمد هي أيضا على قانون العرض والطلب ، والطلب في السنين الواقعة بين ١٩٤٨ و١٩٦٥ كان عموما ينصب على القصائد الحماسية وليس على البحوث التاريخية .

ثم بدأت الدراسات الجادة اثر تأسيس مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، ونشوء جيل جديد من المثقفين المصممين على دراسة القضية دراسة علمية عصرية ، فنشرت الدراسات القيمة ، وصدرت المجلات المختصة ، وبدأ العرب اخيرا يعرفون عدوهم من خلال دراستهم العلمية لمجتمعه واستراتيجيته الخ.. الا انه بالرغم من هذا التقدم المطرد الذي احرزته كتابة البحوث الفلسطينية، فالثغرات ونقاط الضعف ما زالت تبدو واضحة لمن يدرس ويتتبع بعناية الجهود المبذولة في هذا المضمار . فالباحث العربي ما زال يستند في الدرجة الاولى على الكتب والصحف وليس على الشهادات الشخصية في انجاز دراساته . انه دوما يبحث عن المصادر المكتوبة على حساب المصادر البشرية الحية ، علما بأن المصادر المكتوبة منشورة بأغلبيتها بلغة أجنبية ، وجزء كبير منها دونته اقلام مغرضة . انه طبعا يقترب منها بحذر في البداية ، بيد أن طبيعة عمله الاكاديمي تجعله بعض الاحيان ينسى حذره المبدئي اثر انغماسه في المطالعة والكتابة ، فيعجز عن غربلة المعلومات وتقييمها على الوجه الصحيح قبل الاستشهاد بها في بحثه .

ولا بد من الاشارة هنا الى حقيقة بديهية بالنسبة للعاملين في حقل الكتابة ، وهي ان للكلمة المطبوعة مفعولا يكاد يكون سحريا في نفس قارئها . فلاسباب سنترك امر تحليلها للسيكولوجيين المختصين ، يميل القارىء العادي ، فطريا ، الى تصديق الاخبار التي يقرأها في الكتب او الصحف . انه ينسى كون الكاتب بشرا مثله ، عرضة للخطأ او قد يجول في خاطره ان هذا الكاتب قد تعمد التضليل لغرض في نفسه . ولا ريب ان الكاتب الصهيوني جون قمحي كان يدرك هذه الحقيقة عندما **طبخ** في مجلة نيو ميدل ايست قبل أعوام مقالا نسبه الى مجلة الهدف .

ومما لا شك فيه ان الباحث المتخصص في القضية الفلسطينية هو أكثر تمحيصا وتدقيقا في قراءاته من القارىء العادي . ومع ذلك ، هناك خطأ شائع يقع فيه بعض الباحثين وذلك بسبب الاهمال الناشىء عن الكسل ، او بسبب الثقة الزائدة التي يمنحونها لكتاب يزيدون استقاء المعلومات منه . وفيما يلي مثال على هذا الخطأ : في سياق قراءته لكتاب يقع في نطاق بحثه ، يعثر الباحث على تصريح لابا ايبان يذكر مؤلف الكتاب ان وزير الخارجية الاسرائيلي قد ادلى به الى صحيفة « جيروساليم بوست » التي نشرته في عددها الصادر بالتاريخ الفلاني . وفورا يستعيد الباحث نص هذا التصريح مع تاريخه ومصدره ويشير اليه في بحثه ، ثم يتضح فيما بعد أن المؤلف الذي نقل عنه هذه المعلومات لم يكن دقيقا ، او ربما لم يكن نزيها . فالتصريح المنسوب الى ايبان قد يكون مخترعا من أساسه ، او محورا ، او ناقصا بشكل يغير من معناه . او قد يتضح بأنه لم ينشر في « الجيروساليم بوست » وانما في صحيفة اخرى ، او قد يظهر بأن تاريخ الصدور خاطىء . بل يحدث في بعض الحالات ان الذنب يقع أصلا على الطباعة ، عندما تؤدي غلطة مطبعية صغيرة الى تغيير المعنى جذريا .

والباحث العربي قد يكون بحكم اختصاصه معصوما ضد التصديق الفوري لما يقراه